محاولة أخرى لاعادة الشاشة الفضية الغائبة عنا منذ السبعينات

مهرجان «افلام من القارات الخمس» بدمشق: هل يعود الطقس دون عودة السينما؟

دمشق ـ «القدس العربي»

من يارا بدر:

مهرجان العيد العالمي للسينما (أفلام من القارات الخمس) كان هذا عنوان التظاهرة السينمائية التي شهدتها دمشق طيلة الشهر السابع من هذه السنة في صالة راميتا بدمشق.

تعتبر هذه التظاهرة من أكبر التظاهرات التي قدمتها المؤسسة العامة للسينما في سورية مع ادارة الأستاذ والناقد السينمائي محمد الأحمد، وهي جميعاً تظاهرات تقدّم عروضها مجاناً في اطار العمل على اعادة احياء الطقس السينمائي الغائب عن ارض سورية منذ السبعينات!! فقدمت هذه التظاهرة ما يُقارب الأربعين فيلماً من مختلف دول العالم (سورية، مصر، الصين، اليابان، الولايات المتحدة، فرنسا، الارجنتين، بريطانيا، البرازيل، الهند، ايطاليا، كندا وجنوب أفريقيا) اضافة الى فيلمين للأطفال. تصدرت الولايات المتحدة القائمة من حيث عدد الأفلام المشاركة، ولكنها لم تتصدرها من حيث الجودة، اذ تفوّق فيلم الافتتاح «الوعد» الصيني مثلاً على معظمها، الى جانب تفوق أفلام مثل «أزهار محطمة» للمخرج جيم جارموش من كندا، «مذكرات راكب دراجة نارية» من البرازيل، «كم أنت جميلة أيتها السماء» من الارجنتين، «كارمن الأفريقية» من جنوب أفريقيا... وربما كانت أفضل الأفلام الامريكية المشاركة «طفلة المليون دولار» الحائز على العديد من جوائز الأوسكار للعام الماضي 2005 ومن بينها أفضل فيلم وأفضل اخراج للمخرج كلينت ايستوود وأفضل ممثلة لهيلاري سوانك، وهو يتحدث عن المدى الذي يستطيع الانسان أن يحارب فيه لأجل أهداف ليست أكثر من بسيطة، وفي حرب شريفة يتجاوز فيها قوانين قدراته الجسدية الخارجية، ولكنه كانسان يخسر في النهاية، ليعيش حرباً أخرى للحصول على النهاية اللائقة. انه عن فتاة تعدو يوماً وراء يوم ضمن تيار الحياة السريع للتفوّق في الملاكمة ولكنها تخسر عمودها الفقري وكل قدراتها في لحظة، فلا يبقى لها سوى عضلة الفم وعينيها لتتوسل من خلالهما الموت الرحيم.

الى جانبه ومن امريكا يلعب راسل كرو المعروف للكثيرين بدور العالم جون ناش الذي رشح عنه للأوسكار في «عقل جميل»، دور ملاكم أيضاً في السيناريو المأخوذ عن قصة حقيقية لهذا البطل الذي تهز حياته وكيانه الأزمة الاقتصادية الكبرى التي عصفت بالعالم سنة 1929 الى جانب رينيه زويلغير الحائزة على أوسكار أفضل ممثلة 2003 عن دورها في فيلم «شيكاغو» الاستعراضي.

انّ امريكا التي تعرف بانتاجاتها الضخمة تقنياً وفنياً وعددياً قدمت للمهرجان ألمع نجوم شاشتها الذهبية كما لاحظنا، بالاضافة الى جوني ديب في بطولة فيلمين من انتاج 2005 وهما «البحث عن أرض الخيال» مع بطلة «التايتنك» الشقراء كيت وينسلت التي تفوّقت على نفسها في العديد من الأفلام اللاحقة، ولكنها لم تنج من حطام السفينة الشهيرة، ويقدّم الفيلم أيضاً الممثل القدير داستن هوفمان الحائز على العديد من جوائز الأوسكار، في دور لا يُعتبر من أفضل ما لديه، للحديث عن الكاتب الامريكي جيمس باري مؤلف الرواية الخيالية المعروفة «بيتر بان».

الى جانب هذا الفيلم كان جوني ديب البطل الأقوى في فيلم «شارلي ومصنع الشوكولا»، ويتميّز الفيلمان بالتقنيات البصريّة العالية المستخدمة فيهما، وبكليهما نفتقد للأداء الخاص الذي ميّز رجل «النافذة الخلفية».

باقي الأفلام الامريكية العشرين الحاضرة تنوعت بين التشويق والأكشن والقليل من الرعب، لابراز التقنيات البصرية والصوتية الامريكية العالية، دون أن ننسى أفلاماً خاصة مثل «راي» المأخوذ عن قصة حياة المغني الأسطورة راي تشارلز الزنجي الأعمى في أداء لجيمي فوكس رشحه للأوسكار باستحقاق. و«المترجمة» السياسي الذي سقط خطابه الانساني في متاهات السجال السياسي العالمي، سقط ومعه كل من شون بن بطل رائعة «أنا سام»، ونيكول كيدمان الحائزة على أوسكار أفضل ممثلة عن دور الروائية فيرجينا وولف بفيلم «الساعات».

وبهذا تخسر امريكا في لوحة العرض هذه اذ نجحت «جنوب أفريقيا» بفيلمها «كارمن الأفريقية» الحائز على الذهبية لمهرجان برلين السينمائي الدولي 2005 في التفوّق على مختلف المستويات، فأوبرا «كارمن» لمؤلفها «جورج بيزيه ـ 1875» تأتينا هنا من ارض جنوب أفريقيا الترابية الفقيرة محملة بقصص سكانها وتفاصيل حياتهم البسيطة، في حوار أوبرالي بالدرجة الأولى، ويأتي الفيلم ليقدّم شكلا مختلفا وواقعيا عن الجمال الانساني المعروض على شاشة السينما الامريكية، فالبطلان (بولين مافين ـ بدور كارمن و أنديل تشوني بدور الرقيب جونكيخانا) ممثلان يبتعدان بشكل صارخ عن مقاييس الجمال الامريكي التقليدية للجسد الانساني والبطل السينمائي حيث تجذبنا واقعية الجسد الممتلئ وحتى السمين مع البشرة السمراء بقسوة الأرض لنستسلم لسحر الصوت العميق.

"مذكرات راكب دراجة نارية» البرازيلي يعيد الى الأذهان المخرج والتر ساليس ج. آر المعروف بفيلمه السابق «وراء الشمس» الذي رشح عنه للكرة الذهبية (Golden Globe) وهي جائزة النقاد والصحافيين الامريكيين، وفيلمه الحالي منقول عن مذكرات الزعيم الثوري الكوبي المولود في الأرجنتين (أرنيستو تشي غيفارا). بالاضافة الى الفيلم البرازيلي الآخر «البستاني الدائم» المأخوذ أيضاً عن الدراما المشوقة لرواية جون لوكاريه، من بطولة اثنين من ألمع نجوم هوليوود حالياً، رالف فينز بطل أفلام كان بعضها من الروائع مثل (لوليتا– نهاية علاقة عاطفية ـ المريض الانكليزي...)، وراشيل ويسز هذا الدور الذي قادها الى أوسكار أفضل ممثلة بدور ثان هذا العام.

تقودنا هذه النظرة السريعة لنتساءل حول سر تميّز معظم الانتاجات السينمائية المقتبسة عن أعمال أدبية بشكل أساسي؟! كما نلاحظ الاختيار الحديث والموّفق للأستاذ محمد الأحمد اذا أنّ الأفلام الأربعين جميعاً تتراوح بين انتاجات 2005 ـ 2006، وقسم جيّد منها حاصل على جوائز تتجاوز لمعان التمثال الامريكي.

ايطاليا اكتفت بفيلمين كانا يكفيان لاعادة البريق للسينما الايطالية المعهودة، البداية مع «نتائج الحب» للحديث عن رجل الحداثة، رجل القرن الواحد والعشرين في اغترابه عن ذاته وعن مجتمعه، وغرقه في عزلته ووحدته القاتلة، ماذا يحدث له اذا بلغه أنّ شابة جميلة مغرمة به؟!

«مفاتيح المنزل» دراما عاطفية على الطريقة الايطالية بامتياز، انها عن الانسان النبيل، عن الطفل الذي يبقى رغم معوقاته الجسدية والعقلية مالكاً لحقه في الوجود وينجح في صنع الابتسامة!

الأرجنتين وبموضوع مشابه عن رجل وطفل في علاقة انسانية عميقة، شفافة حتى حدود الروح، تلامس كل منا بفيلمها الوحيد «كم أنت جميلة أيتها السماء» الحاصل على الجائزة الذهبية لمهرجان دمشق السينمائي الدولي 2005، فيلم ينجح من خلال طرحه الشفاف بتقديم شكل مختلف من أشكال الحب، هنا حب انساني رقيق ومتين ينشأ بنعومة بين رجل غريب وطفل صغير تفتح لهما المزرعة ـ كمكان للحدث ـ فضاءً رحباً يملأه المخرج بتفاصيل دقيقة وغنية.

بريطانيا تشارك أيضاً بفيلم يتيم، ولكنه رائع بطريقة مدهشة، يقدّم لنا تيري جورج مخرجاً وكاتباً للسيناريو ومنتجاً فيلمه «فندق راوندا»، ليعرض لنا عبر 121 دقيقة واحدة من أشنع وأفظع المجازر الانسانية في التاريخ المعاصر، عندما شنّ المتشددون من السكان الهوتو في «راوندا» حملة تنكيل ومجازر جماعية ضدّ السكان التوتسي وهم من الأقليّة في «راوندا» الذين منحهم الاستعمار البلجيكي السلطة قبل جلائه عن البلاد!

في النهاية نستطيع أن نقرأ بوضوح توّجه السينما العالمية للحديث عن القضايا الانسانية وعن الجمالية الروحية الغائبة عن المجتمع الغربي الحديث وخاصة في علاقاته الاجتماعية بين أبطاله اليوميين.

ما بين أسماء النجوم اللامعة، وأزمة الشوارع المليئة بالاثارة أو الرعب، أو في فضاء العلاقات الانسانية الرقيقة تنقل مشاهدو أفلام هذه التظاهرة، وغالباً تكررت الأوجه ذاتها مع حضور متواتر لوجوه أخرى.. وهنا لا يمكننا الا أن نلاحظ غياب الحضور الشبابي لصالح الجيل الأكبر من متوسطي الأعمار بشكل عام، وهذه حالة أصبحنا نشهدها غالباً في أكثر من تظاهرة فنية أو أدبية أو ثقافية. وحتى في حفل الافتتاح الذي احتضنته صالة «الشام» وهي صالة العرض الأولى في سورية، عانت التظاهرة من غياب الجمهور، وحتى من غياب الحضور الاعلامي اللائق، ليحظى القليلون بفرصة مشاهدة الرائعة الأولى في التظاهرة، المليئة بسحر الشرق وقصصه «الوعد»، فما بين الحلم والواقع، والسحر والقسوة، ما بين شفافية الحكايات الصينية الخيالية وقدراتها التقنية الهائلة على صعيد استخدام الكومبيوتر لتحقيق أرقى الخدع البصرية، نعود مع صورة رائعة بألوانها وتفاصيلها الى حكاية قديمة من آلاف السنين، لا تتجاوز اطار الوعد بعدم الحب حين يقدم للآلهة، لنسير في صراع تقني باهر مع الآلهة، وصولاً الى الأمل!

لقطة من فيلم «طفلة المليون دولار»

عودة النازحين من الجنوب فاجأت حتى الاسرائيليين:

كيف تغيرت الصورة التي حملتها اقنية التلفزيون خلال نصف ساعة

بيروت ـ «القدس العربي» ـ من زهرة مرعي:

رغم الدمار الذي استمرت آلة الحرب الصهيونية في توزيعه على الأراضي اللبنانية كافة حتى الربع الساعة الأخير من سريان قرار وقف اطلاق النار، فان الصورة التي حملتها أقنية التلفزيون التي رافقت ذلك العدوان تبدلت كلياً بين الثامنة الا ربعاً والثامنة والربع. في هذا الوقت السابق واللاحق لساعة الصفر بدأت قوافل السيارات تهدر باتجاه الجنوب. لقد رتب النازحون حوائجهم منتظرين ساعة الصفر وما أن تلاقت عقارب الساعة حتى بدأ التسابق نحو الجنوب. في لحظات غصت الطرقات بين سورية ولبنان من مختلف المعابر بالعائدين، وفي لحظات خلت بعض أماكن النزوح في الشمال وجبل لبنان وبيروت من سكانها. هذا الدفق البشري سابق رجال الاعلام وكاميراتهم، سابق الجرافات التي يفترض أن تمهد بعضاً من الخنادق التي خلفتها الغارات الحاقدة في الطرقات، في حين أنها غيرت معالم طرقات أخرى، في لحظات كان رتل السيارات العائدة يتصل بين بيروت والجنوب، وبين جبل لبنان والجنوب من جهة جزين.

صورة العودة كانت هي الحدث في يوم 14 آب، وصورة الانسحابات الاسرائيلية من بعض المواقع التي فاجأهم الناس بها هي الحدث أيضاً. طالبت قوات العدو من قوات الطوارىء منع هذا التدفق البشري والحد منه فكان الجواب «لقد تأخرتم في الطلب». وهكذا ساهم المواطنون في تشكيل صورة ذلك اليوم التلفزيونية، وفي تثبيت وقف اطلاق النار، وفي تسريع انسحاب العدو من بعض المواقع الحساسة.

هذه كانت الصورة العامة، أما الدخول في التفاصيل فيقودنا الى الكثير من الدلالات التي ظهرت في تصريحات العائدين لوسائل الاعلام. هؤلاء العائدون لم يبالوا بالتحذيرات من وجود قنابل غير منفجرة على أطلال المنازل، كما لم يبالوا بوجود القنابل العنقودية التي نقلت الكاميرات أعداداً كبيرة منها. لم ينتظروا قرار مسؤول أو انتشاراً للجيش اللبناني أو قوات الطوارىء. بل دخلوا في سباق بعضهم مع الآخر في من يكون أول الواصلين الى مسقط رأسه. في تفاصيل الصورة التي وصلتنا أن الجميع يحتفل بالنصر، والجميع غير آسف لدمار منزله، لكن كانت غصة في القلوب ظاهرة على كل من فقد عزيزاً.

الى أرض الشهادة والكرامة الوطنية تسارعت الخطى، تشابكت الأيدي في سبيل تمهيد ما أمكن من الطرق. تضافرت الجهود في سبيل تأمين حركة سير مقبولة ومعقولة لسيل بشري سيطر على طرقات الذهاب والاياب وحولهما معا صوب الجنوب. فكيف يمكن أن يهزم شعب له كل هذه الصلة بأرضه؟

قبيل الساعة الثامنة من يوم 14 آب (اغسطس) رفعت الأقنية التلفزيونية العربية درجة التأهب في استديوهاتها وبين مراسليها على مختلف الجبهات في لبنان وفلسطين الى الدرجة القصوى. الكل في حال من الاستنفار ينتظر ماذا سيحدث في هذا الوقت الفاصل بين زمنين هما الحرب وتوقف الحرب. في جولة سريعة على القنوات التي جندت نفسها لنقل وقائع الحرب طيلة الـ34 يوماً، اذ بالتقارير تتشابه بين كافة القنوات المحلية والعربية. الجميع أعلن أن قرار وقف اطلاق النار دخل حيز التنفيذ، وبدأت الجولة على المراسلين في مختلف المناطق ليقولوا جميعاً أن العدوان توقف، وأن الهدوء هو سيد الموقف بعد أكثر من 24 ساعة دامية جداً سجلها اليوم الأخير للحقد الصهيوني الذي انصب على لبنان وشعبه. لكن كان ملاحظاً أن قناة المستقبل وصفت الحركة باتجاه الجنوب بأنها محدودة، في حين وصفها مراسلا الجزيرة والعربية بأنها تشبه التدفق، ولسنا ندري لماذا وقعت تلك المراسلة في هذا الخطأ الجسيم؟

منذ لحظة دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ صار للقنوات العربية التي تابعت «التهييص» من دون أدنى احساس بما يحدث في الجانب الآخر من الوطن العربي حقها في متابعة مسيرة فرحها التي لم تكن تعني أياً من الشعوب العربية التي كانت تتابع يومياً النصر الذي يسطره المقاومون على الجيش الأكثر تسليحاً في العالم.

استعدت قناة المنار في اليوم الأول لوقف العدوان للنزول الى الميدان. القائمون عليها كانوا يدركون أن المربع الأمني المدمر كلياً سيتحول الى محجة للمواطنين والرسميين والمتضامنين مع الوطن من الخارج. فمنذ ساعات الصباح الأولى كان استديو البث الخارجي يركب مقابل مبنى المنار المدمر الذي بقيت منه بوابته الحديدية شاهداً على أنه كان هنا في يوم مضى. مذيعتان صبيتان تولتا استقبال الضيوف والحوار معهم في هذا الاستديو الميداني الذي لم يسبق أن شاهدنا مثيلاً له. مدير قناة المستقبل النائب السابق عبدالله قصير كان من بين الضيوف، والمدير السابق النائب الحالي حسن فضل الله كان من بين الضيوف أيضاً. قصير وعد بأن المبنى المهدم سيقوم في مكانه مبنى أجمل مما كان وقريباً جدا وذلك كي يبقى رمزاً للحقيقة.

وطيلة هذه الحرب المدمرة كان استمرار المنار محيراً وطارحاً للسؤال من قبل الأصدقاء والأعداء. اذ كيف توقفت القناة لثلاث دقائق ونصف فقط اثر ضرب عمود الارسال الذي يرتفع على مبناها، قبل تدمير المبنى بالكامل في وقت لاحق؟ والسؤال الآخر المحير كان من أين تبث قناة المنار؟ وكيف يصل الضيوف اليها والذين كانوا كثراً طيلة أيام الحرب؟ ربما تكون أسئلة تستجيب لحشرية الانسان الطبيعية، لكن يبقى أن المنار استمرت، وتجددت، وابتكرت برامج حتى في ظل العدوان. ومن الجديد الذي تبثه تلك الأغنيات المصورة على أنقاض الضاحية الجنوبية والتي تحتفل من خلالها بالصمود والانتصار.

الزميل عباس ناصر كان من الوجوه الاعلامية التي رافقت المواطنين طيلة أيام الحرب أولاً من قرب الضاحية الجنوبية، ولاحقاً مكث لفترة طويلة في الجنوب وتحديداً في مدينة صور. كان لعباس ناصر العديد من الاسبقيات الاعلامية، ومنها لقاؤه في اليوم الأول لوقف اطلاق النار مع مقاوم شارك في صد محاولات العدو التقدم نحو عيتا الشعب. قبل هذا الحوار الذي أجراه عباس ناصر وجهاً لوجه مع هذا المجاهد لم نكن قد شاهدنا مقاوماً يتحدث على شاشة التلفزيون. كان جميلاً أن نتعرف الى مقاوم شارك في صناعة ما تمت تسميته بأسطورة عيتا الشعب التي أرعبت العدو. كان في اعتقادنا أن المقاومين هناك سيكونون في حالة يرثى لها لكثرة ما تكبدونه من عناء ومتاعب في صد العدوان، لكننا وجدنا عند اللقاء به على شاشة التلفزيون أننا نحن المتعبون وهو المرتاح الى وضعه والى ضميره طبعاً.

احتفال صباح بعيد ميلادها بعد حرب لبنان يثير استياء الفنانين المصريين

القاهرة ـ «القدس العربي»

من حسام أبو طالب:

احتفلت المطربة صباح بعيد ميلادها التاسع والثمانين مؤخرا داخل الفندق الذي تقيم فيه ببيروت الغربية وسط حضور كثيف لأصدقائها وغاب عن الحفل معظم نجوم الغناء في مصر والعالم العربي بما في ذلك نجوم لبنان.

وقد استقبل الوسط الفني في القاهرة خبر حفل عيد ميلاد صباح بامتعاض شديد نظرا للظروف القاسية التي تمر بها بيروت وغيرها من المدن والقرى اللبنانية حيث يسود الحزن العديد من البيوت التي فقدت عوائلها تحت نيران الطائرات والصواريخ الإسرائيلية.

وقد اعتبر المطرب الشعبي شعبان عبدالرحيم هذا الأسلوب غير لائق من وجهة نظره إذ كيف لمدن تشيع موتاها أن تتصرف أكبر مطرباتها بهذا الأسلوب.

واعتبر المخرج منير راضي ما قامت به صباح بأنه يمثل تصرفا غير مسؤول بالمرة مؤكدا على أن اللحظة الراهنة هي لحظة كاشفة بالنسبة لكل سياسي وفنان عربي لذا لا يليق بصباح أن تقوم بما قامت به مؤخرا حينما دعت صديقاتها وأصدقاءها لعيد ميلادها بأحد الفنادق بينما الشغل الشاغل لكل لبناني هو كيف يساهم في إعمار وطنه.

وقال راضي: أعتقد أن الأولى بصباح أن تكون على رأس الذين يساهمون في إطلاق حملة لدعم بناء ما تهدم لا أن تقوم بإحياء حفلة عيد ميلادها.

واعتبر الفنان حمدي أحمد قيام العديد من المطربين والمطربات بإحياء حفلات خاصة في وقت تشهد فيه الأمة عدوانا لازالت تلملم جراحه المندثرة في بيروت وغيرها بأنه يكشف النقاب عن حجم التقصير واللا مسئولية التي يبديها هؤلاء تجاه أوطانهم.

يضيف حمدي بأن حال أهل الفن لا يختلف كثيرا عن وضع أهل السياسة الذين يعيشون في واد بينما تعيش الأمة في واد آخر.

قال حمدي: من اللافت أن تحتفل صباح وبعض المطربات بأعياد ميلادهن داخل بيروت أو غيرها من العواصم العربية بينما دماء الشهداء لم تجف بعد ,ويعتبر أن إدعاء تلك الفنانات بأن انتصار حزب الله في الحرب مبرر لإقامة الاحتفالات بأن كلام حق أريد به باطل حيث أن مقتضيات النصر تدعو إلي الشعور بالمسئولية لا إلى السهو والرقص والاحتفال بالأعياد.

ونوه حمدي أحمد إلى أن الفنانين اللبنانيين قبل غيرهم مطالبين بضرورة أن يتخلصوا من اللهو وحياد الدعة وأن يكونوا على مستوى الأحداث وذلك لأن الحرب على حد رأيه قد تندلع من جديد في أي لحظة.

واعتبر الفنان والمخرج زين نصار ما قامت به صباح بأنه يعد عدم احساس بالمسؤولية الملقاة على عاتق كل فنان.

يقول زين من غير اللائق ان يتصرف الفنان العربي على هذا النحو بينما الدم اللبناني والفلسطيني مستباح ومجاني كما نشاهد في الفضائيات.

ويدعو نصار صباح وغيرها من نجوم لبنان لأن يكونوا على مستوى الحدث ويهبوا لدعم وطنهم الذي يعيش أزمة إنسانية غير مسبوقة.

يضيف نصار أعتقد أن مكان المطرب في هذه اللحظة داخل الملاهي أو الفنادق وإنما مكانه الطبيعي هناك وسط الركام من أجل دعم الضحايا المشردين في الشوارع بلا معين أو رفيق يخفف عنهم العذاب الذي يتعرضون له بعد أن أصبحوا بلا مأوى.

وينتقد الموسيقار الكبير عبده داغر ما وصل إليه وضع الفنان العربي الذي أصبح لا يشعر بأي مسؤولية تجاه وطنه حتى لو تم تدميره.

يقول داغر إذا لم يكن هؤلاء على قدر المسؤولية فمن ذا الذي بوسعه أن يقود الأمة بعد أن تراجع دورها وتأثيرها وأصبحت لا وزن لها بين دول العالم.

يختتم داغر كلامه بقوله: أعتقد أن الأزمة التي يعيشها الوسط الفني ليست وليدة اللحظة الراهنة وانها هي حصاد ما يزيد على ثلاثين عاما من التخريب المستمر والذي أدى إلى ضياع العديد من القيم والمبادىء.

فضائيات

سقف الحرية المنهار في التلفزيون المصري!

سليم عزوز *

■ أصبح التلفزيون المصري ـ بفضل قيادته الرشيدة ـ في حكم المريض الميئوس من شفائه، وأي أمل في ان يتحول الى تلفزيون (عليه القيمة)، بشكل يليق ببلد في حجم مصر، هو كسراب يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، وبات من يحلم بأن يدخل سيادته في حلبة المنافسة، مع القنوات الجديدة، هو كالجائع الذي يحلم بسوق الخبز.

فقيادات هذا التلفزيون قوم يعيشون خارج الزمن، دعك من وزير الإعلام، فالواقع ان هذا المنصب شاغر، على الرغم من ان شخصا اسمه انس الفقي يشغله، ويبدو ان جماعتنا لم يستقر في وجدانهم اننا في زمن السماوات المفتوحة، وان الأطباق اللاقطة أصبحت تغطي أسطح البنايات في مصر، ولم يعد احد مجبرا على ان يشاهد تلفزيونا، يصر أصحابه بلا مبرر على ان يتربع على عرش الريادة الإعلامية، من قديم الأزل، وحتى قيام الساعة، واضح انهم لا يشاهدون الفضائيات التي ولدت عملاقة، ومن المؤكد أنهم لا يشاهدون إلا تلفزيونهم، او على الأكثر التلفزيون السعودي، والليبي، فينتابهم إحساس جارف بالتفوق.

ولهذا فهم لا يزالون يتعاملون على ان الناس مجبرة على رؤية تلفزيونهم الشائخ، ومن لا يعجبه فليشرب من البحر، او يلق بنفسه فيه، او فليشاهد فضائية «الإخبارية» الجبارة، التي من يشاهدها ساعة، يقل معدل ذكائه إلى النصف، ومن يشاهدها يوما بطوله، فانه يستنزف المخزون الاستراتيجي من الذكاء، لدى قبيلة من البشر. ولان الأمر كذلك، فان جماعتنا لا يزالون يتعمدون سياسة دفن الرؤوس في الرمال، ولم يأتهم بعد نبأ (الجزيرة)، و(الحرة)، و(المنار)، وعشرات الفضائيات الاخرى، التي تبث إرسالها، او في طريقها لذلك، والمشاهد لها سوف يقيم سرادق بمسجد عمرو مكرم لتقبل العزاء في المأسوف على شبابه تلفزيون الريادة الإعلامية.

في تغطيته للحرب على لبنان، عمل هذا التلفزيون المستحيل من اجل التستر على انتصارات حزب الله، ظنا من القائمين عليه، ان هذه الانتصارات مادام تلفزيونهم لم يبثها، فإنها لم تحدث، وكأن الناس لا تشاهد غيره، وكأن (الجزيرة) التي أدت أداء مهنيا رائعا، ليست موجودة في البيوت، وفي المقاهي، وفي المنتديات. وإذا كان هذا يتسق مع الموقف الرسمي للبلاد، الذي كان يتمنى هزيمة ساحقة ماحقة لحزب الله (الشيعي)، على أيدي القوات المناصرة لأهل السنة والجماعة، واعني بها القوات الإسرائيلية، فان المشكلة في ألا يتصور القوم ان ارض الله واسعة، وسماءه كذلك، وبالتالي كان عليهم ان يقدموا الأمر بموضوعية، حتى لا يسقطوا من نظر المشاهدين، بشكل يحولهم إلى (مسخرة) من العيار الثقيل.

وإذا كان تلفزيون الريادة الجبار، قد تورط في هذه التغطية، ولم ينتبه الى ما جرى، إلا بعد ان أعلن الإعلام الإسرائيلي ان الجيش الذي لا يقهر، قد قهره حزب الله، فان نقد هذا الأداء على شاشات التلفزيون المذكور، كان سيرد جانبا من الاعتبار المفقود، وربما جعل من هذه التغطية (وجهة نظر)، على أساس ان القوم قد اجتهدوا، ولم يكونوا مدفوعين بسوء النية، وسوء القصد. لكن عندما سنحت لهم هذه الفرصة لم يستغلوها، بل ارتكبوا جريمة العبث، بشكل ترتب عليه، ان جعلونا على يقين من ان عقارب الساعة عندهم قد توقفت منذ زمن (المنافلة)، او الأداء اليدوي.

أول القصيدة

■ برنامج (كلام والسلام) هو ضمن مجموعة من البرامج، يتعامل معها من بيدهم مقاليد الأمور في مبنى التلفزيون المصري (ماسبيرو)، على انهم سيعملون بها الهوايل، وسيدخلون بها الألفية الجديدة، وسيدشنون بها لمرحلة الفكر الجديد الذي يتبناه الحزب الحاكم، وهو ضمن سلسلة من البرامج تم منحها للذين وقفوا مع مرشح هذا الحزب في الانتخابات الرئاسية الماضية، في حملة الدعاية التي اشرف عليها السيد جمال مبارك. وكل من ساهم في ذلك، ولو بشطر كلمة، او تجاهل المنافس الحقيقي في هذه الانتخابات الموجود الآن في السجن الدكتور ايمن نور، او شارك في عملية تشويهه، تم دفع اتعابهم من (جيب) هذا التلفزيون، فعبد اللطيف المناوي، او عبلاتيف مناوي، بحسب نطق المستشرقة سلمى الشماع، تم تنصيبه رئيسا لقطاع الأخبار، وليس الحديدي تم منحها برنامج (اتكلم)، وعمرو عبد السميع تم منحه برنامج (حالة حوار) وهو مرشح لان يكون وزيرا للإعلام او رئيسا لمجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتلفزيون، ونيرفانا إدريس تم جلبها من قناة (الاوربيت)، وتعاملوا معها على أنها خبير أجنبي، ولم يتم الاستغناء عن خدماتها إلا بعد ان اكتشفوا انهم اشتروا (الترام)، ثم كان البرنامج سالف الذكر هبة لصاحبه على دوره في هذه الانتخابات، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

المهم ففي أولى حلقات هذا البرنامج تمت استضافة الكاتب المرموق محمود عوض، والذي قال انه حاول ان يعتذر في البداية، لولا ان معد البرنامج ومقدمه تكرر إلحاحهما، واتصالاتهما الهاتفية حتى وصلت إلى 12 مرة في اليوم الواحد، وقد أكدا له ان سقف الحرية أصبح السماء، وذهب الرجل الى هناك، وهو يظن ان «الحداية يمكن ان تلقي كتاكيت»، وانتقد إدارة الإعلام المصري للأزمة اللبنانية، والنقطة المتعلقة بشرح إبعاد حزب الله والمقاومة، وفوجئ بالتعدي على كلامه، بالحذف والتشويه، الأمر الذي أصابه ـ حسب قوله ـ بالاكتئاب والتوتر، وداهمته على اثر ذلك أزمة صحية، دخل على أثرها المستشفى، وقد حمل المسؤولين عن البرنامج سبب مرضه.

والغريب انه لم يتم فقط استخدام أسلوب الحذف والقص واللصق مع كلام محمود عوض، ولكنهم استخدموا بالإضافة الى ذلك أسلوبا آخر، لا يتم استخدامه في زمن التطور التكنولوجي، وهو خفض الصوت، حتى لا يسمعه المشاهدون، على حد قوله. فأنا لم أتشرف بمشاهدة هذه الحلقة من البرنامج، وكان أول القصيدة كفر كما يقولون.

سقف الحرية المنهار

■ كان من المفروض ان أقول ان ذنب كاتبنا الكبير على جنبه، لأنه صدق أصحاب البرنامج عندما حدثوه عن سقف الحرية، لولا ان كلنا هذا الرجل، لكن قضاء ألطف من قضاء، فأحيانا يكون القائمون على البرامج هم ضحايا مثل الضيوف لوهم الفكر الجديد في التلفزيون، والى درجة ان الضيف يتصور ان القوم تغيروا فعلا، ولا يجدون من يصدقهم، ويساعدهم في توسيع هامش الحرية، ولأن الاعتذار قد يمثل نوعا من التعالي البغيض، فان المرء تتلبسه حالة من الإحساس بأنه سيحرر عكا، بمجرد ظهوره على شاشاتهم.

منذ عدة شهور دعاني صديق يعد احد البرامج للمشاركة فيه، وقد أحطته علما بأنه يمكن ان يتم نفيه الى (سيلان) بسبب ذلك، حيث نفى الاحتلال الإنكليزي الزعيم الوطني سعد زغلول إلى نفس الجزيرة، وقال لي ان هذا (كان زمان)، وان الدنيا تغيرت، والحرية ترفرف على ربوع الوطن. وقد طمأنني على وضعه الوظيفي، وعلى انه في كامل قواه العقلية عندما اخبرني ان مجدي احمد حسين رئيس تحرير جريدة «الشعب» المغلقة بقرار حكومي، والأمين العام لحزب العمل المجمد بقرار من نفس الجهة سيكون معي.

وقلت في عقل بالي ربما ان الدنيا تغيرت فعلا، إلى درجة ان تتم استضافة اثنين (مسجلين خطر) معا، وفي حلقة واحدة، ولأنني عرفت فكرة الحلقة ولم اهتم بالتفاصيل، فقد وقفت على الهدف ونحن على الهواء مباشرة، والهدف اننا تغيرنا فلا توجد قائمة سوداء، كما هو شائع بالنسبة لمن يظهرون على الشاشة، فنحن في زمن الإصلاحات النابعة من الداخل، وفي نفس الوقت فان القضية المطروحة للمناقشة قد تنال من المعارضة، لتبدو الحكومة شامخة، بالمقارنة بوضع المعارضة.

القضية كانت تدور حول مستقبل (الصحافة الحزبية) على خلفية ما جرى في حزب (الوفد)، من صراع على رئاسته تسبب في إغلاق صحيفته بضعة ايام، وقلت وقتها ان المشكلة تكمن في التعددية المنقوصة التي تأخذ بها مصر، فالحكومة تتحكم في منح التراخيص الجديدة للأحزاب، والتراخيص الجديدة للصحف، والأمر لا تحكمه قواعد قانونية، لكنه استلطاف سياسي في الأول والآخر، وهو ما يدفع كثيرين للتنازع على الرخصة، لإيمانهم ان صعود جبال الهملايا، أسهل من الحصول على رخصة لمشروع حزبي جاد، وهذا التعسف هو المسؤول الحقيقي عما جرى، عندها فوجئت بأحد المذيعين يقاطعني ليسألني، وعندما أقول كلمة، يقاطعني ليسألني سؤالا جديدا، وهكذا، دواليك، وكأن البرنامج تقوم فكرته على توجيه اكبر قدر من الأسئلة بغض النظر عن الإجابة، ولأنني عندما أقاطع انسى ما أريد قوله، فقد أحرجت المذيع عندما قلت له بحدة: انتظر حتى أجيب، لأعلم ان تنبيها وصله من (الكنترول) بضرورة السيطرة علي بصفتي «مفلوت العيار».

الرئيس صدام

■ ذات مرة دعاني احد المعدين ببرنامج (شارع الكلام)، الذي تقدمه القناة الثقافية للحديث في قضية سرقة وتدمير الآثار العراقية بعد الاحتلال، وقال لي نفس ما قاله المعد السابق، وكذلك نفس ما قاله معد ومقدم برنامج (كلام والسلام) لمحمود عوض، واكتشفت ان رفع سقف الحرية هو مجرد أمنية من القائمين على البرنامج، تصوروا من إلحاحهم عليها انها رغبة من القائمين على أمر الإعلام المصري، وفي الواقع ان هذا السقف لم يرتفع ولكنه انهار ليلامس الأرض. لقد أغراني وأنا أدلف من باب القناة ان احمد فؤاد نجم خارج منه بعد مشاركته في احد البرامج، وكان قد ألف منذ قليل قصيدته (العريس) ليجعلني أقول في سري: نحن في حلم ام في علم. كان الضيف الآخر في البرنامج خبيرا في القانون الدولي، وكانت المذيعة التي لم أتذكر اسمها تستمع أكثر مما تتكلم، وتستوعب أكثر مما تقاطع، وأغرانا الأمر فقلنا في الاحتلال ما قال مالك في الخمر، وكنت لا اذكر اسم صدام حسين الا مسبوقا بالرئيس العراقي، وقال زميلي انه لا يزال هو الرئيس الفعلي للعراق، بحسب القانون الدولي، وظننت ان الأمر لن يغضب القوم عندنا، فالمفروض، ومن حيث الشكل، انهم ضد الاحتلال، والمفروض كذلك ان أمريكا لن تؤاخذهم لان صحافيا وقانونيا ظهرا على شاشة احدى قنواتهم التلفزيونية وقالا ان صدام حسين هو رئيس العراق، ولكن مسؤولة كبرى عن القناة تحركت منذ شهور، وطالبت بإلغاء البرنامج، لأنه بات يهدد السلم والأمن الدوليين.

لكن قضاء اخف من قضاء، فقد كنت على الهواء مباشرة، في حين ان محمود عوض تم تسجيل وجهة نظرة ليتسنى العبث بها وتشويهها حتى لا تغضب الآلهة، ومن عجب ان مقدم البرنامج خرج ليقول ان مرض صاحبنا هو محاولة لعمل «شو» او دعاية لنفسه على حسابه. ففي الواقع ان العيب ليس على (المقدم)، ولكن على من يصدق ان «الحداية يمكن ان تلقي كتاكيت»! أرأيتم الى اعلام الفكر الجديد في زمن السماوات المفتوحة؟!

---

* كاتب وصحافي من مصر
azzoz66@maktoob.com

وارضيات